الفصل الثامن

تنامي حركة الجهاد الليبي وموقف الفاشية الإيطالية منها 1923 – 1931 م

- **المبحث الأول: عمر المختار، بدايته الأولى وخلق جبهة موحدة**
- **المبحث الثاني: نظام الأدوار وتطبيق فكرة الشعب المسلح**
- **المبحث الثالث: الفاشية الإيطالية تحاول القضاء على حركة المجاهدين بعدة وسائل منها:**

أولاً- احتلال المنطقة الغربية الساحلية من طرابلس حتى بن وليد

ثانياً- زحف القوات الإيطالية نحو القبلة والجنوب

ثالثاً- القضاء على حركة المجاهدين في المنطقة الشرقية

المبحث الأول

عمر المختار، بدايته الأولى وخلق جبهة موحدة

هو عمر بن مختار بن فرحات من عائلة غيث من قبيلة بريدان، إحدى بطون المنفه، واسم والدته عائشة بنت محارب ولد بالدفنية بمنطقة البطنان في الفترة ما بين عامي 1861 – 1862 م، غير أنه من خلال إفادته في المحكمة الفاشية عام 1931 م عندما سؤل عن عمره فقال 73 سنة بمعنى أنه من مواليد عام 1858 م.

توفي والده وهو في سن السادسة عشر، نشأ بالبادية، ودرس القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية في زاوية جنزور وزاوية الجغبوب. تعلم بعض المهارات والحرف مثل النجارة والحدادة والبناء والزراعة، كما تلقى بعض التدريبات العسكرية وفنون القتال فأظهر براعة خاصة في ميدان القتال والفروسية. وفي عام 1902 م عين شيخ لزاوية القصور بالبيضاء، فقام بتعليم الأولاد وأكرم من كان يأوي إلى تلك الزاوية من الفقراء وعابري السبيل. ثم عين شيخ لزاوية كلك في تشاد 1904 م وهناك شارك في محاربة المحتلين الفرنسيين لهذه البلاد. كما ساهم في نشر الإسلام في تلك المناطق.

وفي عام 1906 م رجع إلى زاوية القصور بناءً على طلب الشيخ أحمد الشريف فشارك في المعارك التي نشبت في منطقة بنينه وبنغازي مع بداية الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911 م.

وبمجرد وصول الحزب الفاشي للسلطة في إيطاليا في 28 أكتوبر 1922 م ألغت الحكومة الفاشية كافة الاتفاقيات المعقودة مع الجانب الليبي وبدأت القوات الإيطالية في تصفية معسكرات المجاهدين بالقوة.. هنا برز دور الشيخ عمر المختار كقائد فذ وضع بصماته على فترة امتدت من 1923 إلى 1931 م، حتى صار من المسلم به إطلاق اسمه عليها فصارت تعرف في تاريخ حركة الجهاد الليبي خاصة في المنطقة الشرقية بفترة جهاد عمر المختار ومعاونيه الأربعة وهم: يوسف أبو رحيل والفضيل أبو عمر وعثمان الشامي وعبد الحميد العبار.

لقد كان الشيخ عمر المختار على معرفة واسعة بنظام القبيلة فساهم في حل نزاعاتها فقد تمكن بقدرة فائقة من حل المشاكل بين قبائل البراعصة، الدرسة، الحاسة، والعبيدات.

كما كان يتمتع بموهبة في الحكم وقدرة خارقة في الإدارة وكانت له هيبة أكسبته احترام خصومه ومؤيديه حياً وميتاً [3].

كل هذه المؤهلات الشخصية وغيرها، مكّنت الشيخ عمر المختار من تنظيم حركة الأدوار والمعسكرات واستحداث معسكرات جديدة في مراوة والمخيلي وسلنطة والأبيار وعكرمة وغيرها.

المبحث الثاني

نظام الأدوار وتطبيق فكرة الشعب المسلح

عرف نظام الأدوار مع بداية الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911 م. وقد استخدمت كلمة دور لتعبير عن المعسكر، لأن المجاهدين الليبيين كانوا يأتون إلى تلك المعسكرات بالتناوب والفرق بين تلك الأدوار الأولى والأدوار التي استحدثها الشيخ عمر المختار هو أن الأخيرة كانت ترتكز كلياً على القبيلة من حيث التمويل، والمتطوعين وأصبح شيخ القبيلة برتبة قائمقام ومسؤولاً عن إدارة شؤون قبيلته.

أصبح نظام الأدوار أساس حركة الجهاد الليبي في المنطقة الشرقية من ليبيا فتأسس نواة الدور الأول في الشبيكة خلال شهري (يونيو- يوليو) 1923 م. بعد ذلك تم تشكيل الدور الثاني في منطقة شحاث، ثم تأسس الدور الثالث بمنطقة درنة، وهكذا انتظمت الأدوار الثلاثة بالجبل الأخضر تحت قيادة عمر المختار وتم تنظيم الإدارات المختلفة: الأمور المالية والشرعية والتموين وجباية الزكاة وإدارة خمس الغنائم. كما تأسس دور رابع، عُرف بطابور المعية وهو عبارة عن حرس يدخل المعارك عند الحاجة ويضم متطوعين من مختلف المناطق ويتبع عمر المختار رأساً.

اختلف عدد أفراد كل دور فلم يكن العدد ثابتاً وإن كان متوسط العدد يتراوح بين 800 إلى 1,000 مجاهد. وإذا كانت تلك الأرقام متفاوتة إلا أنه من المفيد القول أن أهالي الجبل الأخضر عموماً كانوا يقاومون الاحتلال بعدة طرق فكان منهم من يقدم الذخيرة والسلاح للمجاهدين ومنهم من يتستر عليهم أثناء قدومهم للمدن التي كان يحتلها الإيطاليون ومنهم من يقدم المعلومات عن تحركات العدو بالإضافة إلى تقديمهم المواد التموينية والزكاة وغير ذلك. في حين بلغ عدد القوات الإيطالية التي أعدها الإيطاليون للقضاء على حركة عمر المختار نحو 12,500 بكامل معداتهم وأسلحتهم وأربعة طائرات [5].

وكانت قوة الأدوار تنبع من عوامل ثلاثة هي [6]:

1- انهم جميعاً يحاربون من أجل وطنهم ودينهم بشكل يستوي لديهم مسألة الحياة أو الشهادة.

2- أن أهل الجبل الأخضر عموماً كانوا يشاركون في مقاومة الاحتلال بطرق مختلفة كما سبق ذكر ذلك.

3- نظام الأدوار نظاماً مرناً. بحيث أعطى حركة الجهاد أسباب الديمومة والاستمرارية فإذا استشهد مقاتل يتم تعويضه بآخر من نفس القبيلة وكان التمويل والتموين داخلياً. وهكذا كان الدور لا يتأثر بفقدان شهيد في إضعاف قوته العسكرية والقتالية، فبعد كل معركة يتم حصر الشهداء وإلى أي القبائل ينتمون ثم يرسل إلى أية قبيلة العدد الذي يجب أن تعوضه عن شهدائها وإذا لم تجد العدد المطلوب تلتزم بدفع ألف فرنك عن كل شهيد لا يتم استبداله بأخر لكي يجند بها العدد اللازم على الدوام.

خاض عمر المختار حوالي 74 معركة ونحو 260 اشتباكا على أقل تقدير ضد القوات الإيطالية. تبني خلال هذه المعارك والاشتباكات إستراتيجية كانت تعتمد على عدة عناصر أهمها:-

1- اتخاذ مبدأ الهجوم بدل الدفاع وكان هذا الهجوم غالباً ما يتم عن طريق المباغتة وبأسلوب حرب العصابات أو حرب التحرير الشعبية وهذا الأسلوب في القتال يعتمد على معرفة دقيقة لطبيعة الأرض وقد تبنى المجاهدون هذه الإستراتيجية بعد أن تعذر الحصول على مساعدات من الخارج.

2- التحصن في الأماكن والمناطق الوعرة مثل سيطرتهم وتمسكهم بمنطقة وادي الكوف بالجبل الأخضر، حيث وفر هذا الوادي بتكوينه الطبيعي قلعة حصينة للمجاهدين.

3- كان نظام الترقيات يعتمد بالدرجة الأولى على العمل الميداني الذي يظهره المقاتل في ميدان المعركة وليس على أساس انتماءه القبلي أو العائلي بمعنى أن الترقيات كانت تتم حسب القدرة والكفاءة.

المبحث الثالث

الفاشية الإيطالية تحاول القضاء على حركة المجاهدين الليبيين بعدة وسائل منها

بعد وصول موسوليني للسلطة في 28 أكتوبر 1922 م صار من أكثر المتشددين والمنادين بضرورة القضاء على حركة الجهاد الليبي فأعد جيشاً كبيراً مسلحاً بأحدث الأسلحة وباشرت قواتهم في مهاجمة الليبيين بكافة المناطق على شكل حرب إبادة بالوسائل التالية:-

أولا- احتلال المنطقة الغربية الساحلية من طرابلس حتى بني وليد

في 15 إبريل 1922 م تحركت القوات الإيطالية بقيادة الكولونيل غراتسياني نحو الزاوية ثم العزيزية وقد دامت الاشتباكات بين تلك القوات والمجاهدين من 16 إبريل حتى 19 مايو من نفس العام. واتخذت القوات الإيطالية من العزيزية مقراً لها لمهاجمة الجبل الغربي حيث أعدت السلطات الإيطالية حملة عسكرية كبرى لاحتلاله وأسندت مهمة ذلك إلى غراتسياني فتمكنت قواته من السيطرة على جادو كاباو، نالوت ثم يفرن التي استخدمت قاعدة للوثوب على غريان حيث تمكنت تلك القوات من احتلالها في 17 نوفمبر من نفس العام [7].

كما تمكنت تلك القوات من احتلال ترهونة يوم 6 فبراير 1923 م بعد معارك عنيفة واصلت القوات الإيطالية زحفها على الشريط الساحلي الممتد من الخمس حتى مصراته وتمكنت من الاستيلاء على مصراته يوم 26 من ذات الشهر فتمت ترقية غراتسياني من كولونيل إلى جنرال تقديراً لجهوده التي بذلها في تحقيق هذا الاحتلال ومن ترهونة واصلت قوات غراتسياني زحفها إلى ورفله فاحتلتها يوم 27 ديسمبر من نفس العام، واعتبر ذلك نهاية المقاومة في المنطقة الجنوبية من طرابلس الغرب ثم تحولت بعد ذلك إلى مناطق القبلة والجنوب من البلاد

ثانيا- زحف القوات الإيطالية نحو القبلة والجنوب

في نطاق العملية العسكرية الكبرى التي خططت لها الفاشية لاحتلال منطقة القبلة والجنوب قامت القوات الإيطالية باحتلال غدامس في يوم 5 فبراير 1924 م. ومزده يوم 15 يونيو. وسرت يوم 23 نوفمبر 1924 م. وبدأت السلطات الإيطالية تخطط بعد ذلك لاحتلال الواحات الداخلية في برقة، وجالو (أوجله)، والكفرة وقد عرفت هذه العمليات باسم عمليات خط 29 وقاد غراتسياني هذه العمليات وقد تمكنت قواته أيضاً من احتلال براك في ديسمبر 1929م. وأوباري يناير 1930 م. وغات 24 فبراير من نفس العام. وهكذا تم للإيطاليين وللمرة الأولى عام 1930 م من احتلال فزان بالكامل. بعد ذلك غادر غراتسياني فزان جواً يوم 24 فبراير 1930 م متوجهاً إلى طرابلس ثم روما حيث تلقى أوامر مشددة للقضاء على حركة الجهاد في برقة.

ثالثا- القضاء على حركة المجاهدين في المنطقة الشرقية

بعد أن تم لغراتسياني احتلال فزان تلقى أمراً بتعيينه نائباً للحاكم العام في برقة حيث كان الحاكم العام هو المارشال "بادليو" وعندما وصل غراتسياني إلى برقة كانت حركة الجهاد على أشدها فقرر اتخاذ عدة إجراءات لإنهائها منها:-

أ- سياسة التشدد والبطش:- تمثلت هذه السياسة الوحشية الإيطالية خلال شهري مارس ويونيو من عام 1930 م في:-

1- قفل الزوايا ونفي شيوخها ومصادرة أموالها المنقولة والعقارية وقطع مرتبات الموظفين الرسميين وتقديم الكثيرين للمحاكمة بتهمة الخيانة، واستعمال غاز الخردل المحرم دولياً وإلقاء بعض المناضلين من الطائرات أحياء.

2- تجريد المواطنين من أسلحتهم وتجنيدهم بالقوة لمكافحة المجاهدين، ومنع غراتسياني أي نوع من المتاجرة مع مصر لتسهيل القضاء على عمليات التهريب التي كانت لها أثار بالغة بالنسبة لاقتصاديات الجبل الأخضر وتغذية حركة المقاومة.

3- تشكيل المحاكم الطائرة التي كانت تنقل بكامل هيئتها للبت في حالات المقاومة التي يتم القبض عليها على مشهد من المواطنين وإصدار أحكامها بالإعدام التي كانت تنفذ في الحال. فنظرت هذه المحكمة في العام الأول من حكم غراتسياني (1930 م) في 250 قضية أصدرت حكماً بالإعدام على 119 منها، نفذت على الفور.

4- شكل قوة قوامها 13,000 جندي كانت مهمتها مطاردة قوات عمر المختار ومحاصرتها وتدميرها. وقد تنبهت قوات المجاهدين إلى هدف العدو الإيطالي، فوزعت نفسها في مجموعات صغيرة وتمكنت من التسلل خلال القوات الإيطالية، وبذلك فشلت قوات المطاردة الإيطالية في مهمتها.

5- تم عزل أهالي الجبل الأخضر ومن هنا نشأت فكرة المعتقلات الجماعية التي كان قد قررها بادليو (الحاكم الإيطالي العام لمنطقة برقة) ثم نفذها نائبه غراتسياني في يوم 25 يونيو 1930 م، فأمر بإخلاء الجبل الأخضر من سكانه ونشأت ما عرف فيما بعد باسم المعتقلات حيث قامت السلطات الإيطالية بتجميع الليبيين اللذين كان من بينهم أطفال ونساء وشيوخ داخل معسكرات إبادة جماعية في مناطق صحراوية وإحاطتهم بالأسلاك الشائكة وتركوا ليموتوا جوعاً وعطشاً وبالأوبئة الفتاكة وأشهر هذه المعتقلات:- معتقل العقيلة ومعتقل البريقة ومعتقل سلوق ومعتقل المقرون، وترتب على تلك المعتقلات عدة أضرار مادية ومعنوية فقد توفي ما يزيد عن تسعين ألف نسمة وتشرد من الأهالي ما يزيد عن 125,000 مهاجر. وكانت الأضرار المادية بالغة الخطورة حيث تم إفناء نحو 90 إلى 95٪ من الثروة الحيوانية.

وكانت السلطات الإيطالية تعتقد أنه في إفقار البدو سيجعلهم يخضعون للاحتلال، كما تم السيطرة على الأراضي الزراعية الصالحة وطرد أهلها إلى الصحراء و إقامة المستوطنات الزراعية.

ب- احتلال الكفرة:- قامت القوات الإيطالية بحشد قوات ضخمة لاحتلال منطقة الكفرة والمناطق الجنوبية المجاورة لها. فوصلت هذه القوات إلى تازربو في يناير 1931 م ولحق بها الجنرال غراستياني جواً يوم 12 منه فأسندت إليه القيادة العامة للحملة. وفي 20 فبراير من نفس العام احتلت تلك القوات منطقة التاج ثم أخذت بعد ذلك بالقيام بعمليات ملاحقة لقوات المجاهدين اللذين نزحوا إلى البلدان المجاورة وبذلك انتهت حركة الجهاد في هذه المناطق الصحراوية الجنوبية.

ج- إقامة سد من الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية الليبية يكون من المناعة بحيث يضمن عدم وصول المؤن والإمدادات إلى المجاهدين وقد أقامت هذا السد المنيع في شهر سبتمبر 1931 م. وكان هذا السد يتكون من خطوط متشابكة من الأسلاك الشائكة بعرض عشرة أمتار وطول 270 كيلومتر وإرتفاع 160 متراً يمتد من ميناء البردية حتى واحة الجغبوب وتتخلله ثلاث قواعد رئيسية مقرها إمساعد، والشقه، والجغبوب وست قواعد فرعية وثلاث مطارات صغيرة وقاعدة جوية صغيرة في واحة الجغبوب مع عدد من المحطات الهاتفية [9].

د- أسر وإستشهاد الشيخ عمر المختار: أدت الترتيبات التي وضعها الفاشيون بأوامر موسوليني وبإشراف بادليو وغراتسياني وغيرهما من قادة السلطات الايطالية في ليبيا، إلى إخلاء الجبل الأخضر من سكانه، فتوقف النشاط الزراعي وتم القضاء على الثروة الحيوانية و شحت الأقوات وأخذت قوات غراتسياني تبحث في كل مكان من الجبل عن المجاهد عمر المختار ورفاقه يقودهم الكشافة وفرسان الصواري والسرايا المدرعة والطائرات.

أدت تلك التدابير إلى حصر المقاومة والتضييق عليها مما نتج عنها أسر الشيخ عمر المختار يوم 11 سبتمبر1931 م. وتم نقله إلى بنغازي يوم 12 منه وأسرع غراتسياني الذي كان في روما بالعودة إلى بنغازي يوم 14 منه، وأجريت له محاكمة صورية انتهت بالحكم عليه بالإعدام شنقاً، وجرى تنفيذ الحكم في بلدة سلوق يوم 16 سبتمبر 1931 م على مشهد عشرين ألف نسمة جمعوا خصيصاً من المعتقلات لمشاهدة تنفيذ الحكم فيه هكذا

طويت صفحة من أنصع صفحات تاريخ الجهاد الليبي وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته الخالدة فقال:-

نـــــــــــــصبوا رفاتك في الرمال لواء

يـــــــــــــستنهض الوادي صباح مساء

وباستشهاد الشيخ عمر المختار أخذت حركة الجهاد في الاضمحلال. فقد اعترف بادليو في 24 يناير 1932 م بانتهاء حركة المقاومة المسلحة التي استمرت شرسة وطاحنة منذ الاحتلال الإيطالي لليبيا [11].

وقد تميز الحكم الإمبريالي الإيطالي في العقد الأخير من حكم ليبيا في الفترة من 1932 حتى 1943 م بعدة مظاهر يمكن إجمالها فيما يلي:-

1- الحكم الاستبدادي الدكتاتوري المطلق.

2- العنف والبطش تجلى ذلك في قمع حركة الجهاد وحشر الناس في معتقلات سبق ذكرها.

3- الاستغلال الاقتصادي بانتزاع ملكية الأراضي الصالحة وتوطين المستعمرين الإيطاليين. ففي عام 1934 م، أنشئ نظام الأنتي وتغنى بالعربية:- المؤسسة الإستعمارية الليبية هدفها إستثمار(الشاطئ الرابع)كما كان يحلو للفاشيين تسمية ليبيا، كما فتحت أبواب الهجرة إلى ليبيا للإيطاليين من كافة أنواع الطبقات، فوفدت إليها مئات التجار والحرفيين. وحتى عام 1936 م كان المحتلون الإيطاليون، قد أنشأوا عدة مستعمرات زراعية: أوليفيتي، والعزيزية، وكريسبي (قرب مصراتة). وفي عام 1938 م وحده قدم إلى ليبيا نحو عشرون ألف إيطالي. وفي عام 1940م كانت جملة مساحة الأراضي المصادرة من الليبيين تبلغ 800 ألف هكتار وكانت هذه الأراضي تعطى للذين اشتركوا في الحرب أو لملاك الأراضي في إيطاليا. لكن أعظم الأراضي كانت من نصيب فولبي وغراتسياني وشقيق موسوليني وسكرتيره ومن شابههم، حيث استولى هؤلاء على مزارع شاسعة. ففي برقة كانت مزرعة واحدة من مزارع

غراتسياني تشغل 1700 هكتار، كما كانت مزارع فولبي تشغل 55 ألف هكتار [12].

4- قمع ومحاربة الروح الوطنية عن طريق منع إقامة الجمعيات والنوادي والتضييق على الحريات ومراقبة الصحافة وعزل ليبيا عن محيطها العربي والحركات القومية.

5- محاولة القضاء على الشخصية العربية عن طريق محاربة التعليم العالي ومحاولة والقضاء على اللغة وإقفال باب التوظيف إلا لمن يتقن اللغة الإيطالية.

6- التقدم العمراني خدمة للفئات الإيطالية وبناء بعض القرى الزراعية الإيطالية وتعبيد بعض الطرق.

7- اضطرار الكثيرون من الزعماء الليبيين للهجرة إلى الأقطار المتاخمة مثل مصر، تونس، تشاد والجزائر وتبعتهم أفواج المهاجرين واستوطنوا فيها كما هاجر بعضهم إلى بلاد الشام ومارسوا الكفاح السياسي [13]، من خلال تكوين بعض الجمعيات مثل: جمعية الدفاع الطرابلسي – البرقاوي وغيرها.

هوامش الفصل الثامن

1- هاشم يحي الملاح، جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس مركز جهاد الليبيين، العدد الثاني، 1988م، ص 26.

2- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص285.

3- رودلفو غراتسياني، برقة الهادئة، ترجمة ابراهيم سالم عامر، بنغازي، مكتبة دار الاندلس ط 3، 1980، ص 272.

4- ندوة عقدها مركز دراسة جهاد الليبيين، بعنوان عمر المختار، نشأته وجهاده، اشراف عقيل محمد البربار، طرابلس، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين 1981، ص 97،98.

5- المرجع نفسه ص 99، 100.

6- بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص 291.

7- حسن محمود بالحاج، مرجع سابق، ص 12.

8- المرجع نفسه، ص 13،14.

9- المرجع نفسه، ص 15،16.

10- مصطفى سعد الهاين، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين ط 1، 1988، ص 86 – 87.

11- خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد بيروت، دار الثقافة، ط3، 1973 ص88.

12- فوبليكوف وآخرون، تاريخ الاقطار العربية المعاصرة،جـ 2 موسكو: دار التقدم 1976م ص236.

13- تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1930 – 1950 م. طرابلس، مركز دراسات جهاد الليبيين 1983، ص 31.